جامعة إفريقيا العالمية

المركـز الإسلامـي الإفريقـي

المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية
(بمناسبة مرور (١٤) قرناً على نزوله)

٢٠ - ٢٢ محرم ١٤٣٣هـ ، الموافق ١٥ - ١٧ ديسمبر ٢٠١١م
الخرطوم - السودان

لجنة الأوراق والسكرتارية

الأوراق العلمية

(الكتاب الثالث)

الإخراج الفني والتصميم

الأستاذ: طارق فاروق عبدالله هارون
الأستاذ: عبدالرحمن محمد الوسيلة

تصميم الغلاف

الشيخ الأمير

محرم ١٤٣٣هـ / نوفمبر ٢٠١١م

لجنة الأوراق والسكرتارية

١) الدكتور/ عمر أحمد سعيد رئيساً .

٢) الدكتور/ عبدالقيوم عبدالحليم الحسن رئيساً مناوباً.

٣) الدكتور/ كمال محمد جاه الله عضواً .

٤) الدكتور/ محمد عبدالقادر محمد عضواً

٥) الدكتور/ يوسف خميس أبورفاس عضواً .

٦) الدكتور/ المعتصم محمد الأمين عضواً .

٧) الأستاذ/ طارق فاروق عبدالله هارون عضواً مقرراً .

٨) السماني علي أحمد عضواً .

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

المحتويات

م	المـــــوضـــوع	رقم الصفحة
١.	المحتويات	أ
٢.	مقدمة الكتاب	ب
٣.	تقديم الكتاب بروفسور حسن مكي محمد أحمد	ج
٤.	أخلاق الصحابة في القرآن الكريم (د. حسن علي الشايقي –السودان)	١ – ٢٧
٥.	خصائص الأحكام في القرآن الكريم تطبيقاً على الطهارة (د. علي عبد الله محمد الحسين –السودان)	٢٩ – ٦٣
٦.	العلاقات الدولية: مفهومها، وقواعدها الشرعية، وتطبيقاتها العملية في ضوء القرآن الكريم (د. إبراهيم محمد أحمد البلوله –السودان)	٦٥ – ٨٨
٧.	المبادئ الأساسية لحماية حقوق الإنسان في القرآن الكريم (دراسة خاصة بالنزاعات المسلحة في القانون الدولي الإنساني) (د . بدر الدين عبد الله حسن حمد-السودان)	٨٩ – ١١٣
٨.	حقوق المرأة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ضوء ما جاء في القرآن الكريم (أ: تهاني إبراهيم محمد محجوب- السودان)	١١٥ – ١٣٨
٩.	مضامين التربية البيئية في القرآن الكريم (د. محمد علم الدين معروف –السودان)	١٣٩ – ١٧٢
١٠.	مبادئ تربية الأطفال في القرآن الكريم	١٧٣ – ٢١١

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee
د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

	(د. محيي الدين عبد الله حسن إبراهيم- السودان)	
١١.	القيم التربوية في القرآن الكريم (تربية القلوب نموذجاً) (د. إدريس علي الطيب علي –السودان)	٢١٣ – ٢٤٨
١٢.	Al- Qur'an: The Corrective Measure for the 21st Century (Dr. Zulfiqar Ali Shah – Amirca)	1 –49

(أ)

مقدمة الكتاب:

نضع بين يديك- عزيزي القاريء- هذه المجموعة من الأوراق العلمية التي كتبت بأقلام متنوعة، قد تكون مختلفة في تناولها للقضايا التي تطرحها، لكن يجمعها أنها تصب في بحيرة واحدة تمثل محاور المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في الحضارة الإنسانية الذي تداعت له أقلام الباحثين بمختلف مشاربهم وتخصصاتهم.

الحق أن هذه الأوراق المشار إليها ما كان لها أن تكون بهذه الصورة التي عليها الآن لولا اجتيازها لعدد من المحطات، التي تأتي في مقدمتها، تحكيم مستخلصها وإعادة تحريرها عبر لجنة مختصة، ومن ثم تحكيم الورقة نفسها عبر لجنة مختصة أيضا، ومن ثم تصحيحهاً لغوياً بواسطة لغوي متميز في مضمار التدقيق اللغوي.

ارتكازاً على ذلك ندرك مدى الجهد الذي بذل في إعداد محتويات هذا المجلد من الأوراق العلمية التي نأمل أن تقع موقعاً حسناً عند القرّاء فذاك ما نصبو إليه، والله ولي التوفيق.

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee
د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

(ب)

تقديم الكتاب

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤدي هذا المؤتمر العلمي مهمته، كاملة في التعريف بدور القرآن في تشكيل الحياة الإنسانية على استحالة ذلك بالطبع. لأن لهذا الكتاب الإلهي إسهاماته التي تبدو وكأنها لا متناهية في تشكيل التاريخ الإنساني، وتشكيل الفضاء العام وتشكيل العقل والوجدان وكل ما يتعلق بالإنسان ودوره في هذه الحياة.

كل ذلك لان القرآن خطاب الله الكامل للإنسان ،الكتاب الجامع المفتوح للدراسة والتأمل في كل زمان ومكان ،هو مصدر المعارف الدائم يَعْظُم من يأخذ منه ،ويَشْرُف من يلجأ إليه، مورد الخير ومنبع البركة والنعمة وهو الحبل المتين والقوة التي لا تلين. لكل ذلك لم ينقطع الاهتمام به والاحتفاء بعظمته منذ أن نزل وسيظل كذلك إلى ما شاء الله. كما أن الإسلام، حتى وفي ظروف الكبت والإقصاء والتهميش، ظل بفضل هذا الكتاب يُمثل المرجعية للأفراد والمجتمعات سراً وباطناً في ظل أوضاع الاضطهاد والحرب ومحاكم التفتيش التي ما تزال دائرة في بعض بقاع الأرض.

والحق أن اهتمام جامعة إفريقيا وأهل السودان به لم يأت من فراغ، وإنما يعود ذلك إلى الأهداف والوجهة الأولى للمركز الإسلامي الإفريقي، نواة هذه الجامعة، التي احتضنها أهل السودان شعباً وحكومةً، وآزرهم عليها قوم كرام وحكومات وهيئات كريمة ،وهي ذات الجهات التي تدعم اليوم مؤتمر القرآن الكريم.

ولا يزال القرآن الكريم من أكبر اهتمامات جامعة إفريقيا المتمثلة في مطلوبات الجامعة المهولة من القرآن ودراساته، وحلقاته العامرة في مساجدها وقاعاتها.

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

"المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية" جاء عنواناً لهذا التجمع القرآني الكبير . عنواناً تنطوي تحته محاور تركز في مجملها على إسهام القرآن في حضارة الإنسان في كل مجالات الإسهام . نتج عنه هذه الأوراق التي تصب بحوثها في خدمه القرآن وإبراز دوره الحضاري.

(ج)

هذا المؤتمر مجرد محاوله متواضعة لقراءة دور القرآن في بناء المجتمعات الإسلامية وكذلك معرفة إسهام العلوم التي بثها العقل الإسلامي في إعادة تشكيل العقل الإنساني الذي قاد لحضارة العلمية الحديثة، كما أن القرآن يظل وراء كل حدث كبير، وما التحولات الجارية في العالم الإسلامي اليوم إلا صدىً لهذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، لان القرآن وراء ازدهار المساجد ووراء إعمار الشباب لدور العبادة، ووراء العودة للّه، والقرآن هو التجويد والعلم والعقل والتدبر، وطهارة اليد واللسان والعفة، وطهارة العقل والبنان وطهارة الجنان—وفي إطار هذه المعاني يجئ هذا المؤتمر.

ولكي يظهر المؤتمر في الصورة اللائقة بعظمة القرآن حرصت الجامعة على البرامج المصاحبة ومن بينها معرض القرآن الكريم الذي يبرز جهود أهل القرآن بالسودان وغيره من البلدان، الجهود الرسمية والشعبية القديمة منها والحديثة.

كما تشمل التظاهرة حدثاً قرآنياً كبيراً تتجمع فيه خلاوي السودان بفسيفسائها وأطيافها المختلفة حول " تُقَّابة القرآن " نار القرآن العظمى التي تجسد تقاليد أهل السودان في تعليم القرآن ودراسته.

بالإضافة لذلك فأن هذه التظاهرة ستشهد مشاركة وفعاليات واسعة من الشخصيات والمؤسسات المعنية بالقرآن محلياَ وإقليميا وعالمياً بما يبلور عظمه القرآن وجلاله.

وأنا ، إذ أقدم هذا الكتاب للمؤتمرين والقراء وأصحاب الشأن والاهتمام ، لا أشك في أن قيام هذا المؤتمر بهذه الصورة سيجلب الخير والبركة لجامعة إفريقيا ومجتمعها ، وللسودان وأهله ودولته، عليه اسأل الله أن يكون في كل ذلك عملاً صالحاً وجهداً مباركاً، وان يكون لهذا الكتاب الذي يحتوي على طائفة من الأوراق المقدمة في المؤتمر فائدة عامة ودور ايجابي في التعريف بالمؤتمر بما يشحذ الهمم ويثير القرائح للإسهام في نجاحه وازدهاره .

واسأله تعالى أيضاً أن يكون هذا المؤتمر مجرد فاتحة لمئات المؤتمرات التي تتناول هذا الشأن.

والله ولي التوفيق،،

بروفيسور/ حسن مكي محمد أحمد
مدير جامعة إفريقيا العالمية

جامعة إفريقيا العالمية International University of Africa IUA

المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية

THE HOLLY QURAN: INTERNATIONAL CONFERECE

مضامين التربية البيئية في القرآن الكريم

المحور التاسع: التربية والقرآن الكريم

(المفاهيم التربوية في القرآن الكريم)

إعداد:

الدكتور محمد علم الدين معروف

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

أستاذ مساعد في المناهج وطرق التدريس - كلية التربية
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee
د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

مستخلص الورقة :

تأتي هذه الورقة تحت عنوان: (مضامين التربية البيئية في القرآن الكريم)، مستشعرةً وجود إشكال سلوكي سلبي من قِبَل كثير من الناس في مجتمعاتنا عند التعامل مع البيئة ومكوناتها، رغم ما تضمنه الخطاب القرآني والهدي النبوي ما يخص هذا المجال، ما يدل على عدم فقهٍ لمضامين هذا الخطاب، أو عدم تحمس للاستجابة لمقتضيات تلك المضامين، وكل ذلك يمثل إشكالاً يستحق البحث والدراسة.

تنبع أهمية موضوع هذه الورقة من كونه يتناول بالدراسة إشكالاً متعلقاً بواحد من المجالات التربوية المهمة، هو مجال التربية البيئية، الذي لم ينل بعد ما يستحق من عناية في مجتمعاتنا الإسلامية.

هدفت الورقة ضمن ما هدفت إليه، إلى توضيح بعض مظاهر الاهتمام الإسلامي بالتربية البيئية، وتوضيح ما يترتب على هذا الاهتمام.

تناولت الورقة هذا الموضوع في ثلاثة عناوين هي:مفهوم البيئة والتربية البيئية وملامح منهج الإسلام في التربية البيئية ومضامين التربية البيئية في القرآن الكريم. وخلصت إلى نتائج منها:

١/ إنّ منهج الإسلام في التربية ممثلاً في القــرآن الكريـــــم والــسنة النبويـــة المطهرة، له سبْق في الاهتمام بالبيئة وتزكيتها، يرفعه إلى مرتبـــة الـــصدارة من حيث الإســـهام في بناء الحضـــارة الإنسانية على مر العصور.

٢/ أنّ الإسلام بوصفه منهاجاً شاملاً للحياة كلها، متكاملاً في شموله، يتضمن منهجاً للتربية البيئية

تبدو بعض ملامحه في كثير من آيات القرآن الكريم.

٣/ أنّ المنهج التربوي الإسلامي يهدف إلى تحقيق تربية بيئية مثالية في المجتمـــع المسلم، مـــن

خلال ما تضمنه القرآن الكريم من توجيهات تخص مجال البيئة.

وعليه فإنَّ الباحث يوصي بالتالي:

(١) أن يُسهم المختصون والمهتمون –كلٌّ وفق ما تيسر له– في نشر ما يتضمنه القرآن الكريم من توجيهات بشـــأن التعـــامل مع البيئـــة ومكوناتها.

(٢) أن يعمل علماء التربية من المسلمين على تبيين كمال منهج الإسلام في التربية وأفضليته على المناهج التربوية الوضعية.

(٣) أن يتولّى علماء المناهج التربوية المسلمون مهمّة تصميم مناهج دراسية في التربية البيئية للتلاميذ في مراحل التعليم العام، (وغير ذلك من التوصيات والمقترحات).

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آل بيته الطاهرين المطهرين ، وصحبه الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد: فمن المجالات التربوية التي غدت تحظى باهتمام واضح من قِبَل المختصين والمهتمين بالشأن التربوي منذ عقود ليست بالبعيدة، مجال التربية البيئية الذي يمكن اعتباره مجالاً تربوياً حيوياً مواكباً للعصر الحالي، عصر التلوث البيئي الرهيب، فلقد تنبّه المهتمون بالشأن البيئي إلى الأخطار البيئية المتزايدة الناجمة عن التقدم التكنولوجي المتسارع، وأفلح من يمكن تسميتهم بالناشطين البيئيين في توصيل رسالتهم إلى متخذي القرار في الدول المتقدمة بالذات، عبر المنظمة الدولية (منظمة الأمم المتحدة) والآليات التابعة لها؛ فترتب على ذلك حدوث اهتمام جدي لحماية البيئة.

لم يتوقف الاهتمام بالبيئة ومشكلاتها عند حد المستوى النظري، أي عند حد توصيف المشكلة وتحديدها ؛ بل تبع التنظير اتخاذ إجراءات عملية تمثّلت

في سن: تشريعات وقوانين، واتخاذ قرارات إدارية، وتدابير فنية، طمعاً في التقليل من المخاطر الكارثية المحدقة بالبيئة برّاً وبحراً وجوّاً.

والحقّ أنّ الجهد المقدّر الذي بُذل وما زال يُبذل لأجل حماية البيئة لم يكن استجابة لأمر الله، أو تعاطياً مع تشريع سماوي حنيف؛ إنّما هو جهد مبذول ــ في غالبه ــ في واقع الأمر، من منطلق إنساني محض. ولئن كان ذلك لائقاً بغير المسلمين، فلا يليق بنا نحن معشر المسلمين أن يكون مُنْطَلَقُنا في التعاطي مع قضايا البيئة منطلقاً إنسانياً فحسب، ونحن الذين نملك منهاجاً للحياة كلّها بمجالاتها المختلفة وبقضاياها المتشعبة، هو المنهاج الإسلامي الرباني الخاتم.

معلوم أنّ القرآن الكريم هو المصدر الأساس للتشريع في هذا المنهاج؛ وقد اشتمل ضمن ما اشتمل على إشارات وتوجيهات بل وتشريعات، بشأن النظر إلى البيئة والتعامل مع مكوِّناتها. بل تطرّق ضمناً إلى مجال تربوي حيوي لم يتنبه إليه التربويون إلاّ حديثاً – كما سبقت الإشارة – جراء ظهور مشكلات بيئية تعكر صفو حياة البشر، هو مجال التربية البيئية الذي تأتي في إطاره هذه الورقة مستشعرةً وجود إشكال سلوكي سلبي من قِبَل كثير من الناس في مجتمعاتنا عند التعامل مع البيئة ومكوناتها، وهو إشكال لم يعصم الكثير منّا عن الوقوع فيه – بكل أسف – ما تضمنه الخطاب القرآني والهدي النبوي مما يخص التعامل مع البيئة، مقارنة مع سلوك الأفراد في المجتمعات

غير المسلمة والمتقدمة منها بالذات، مما يدل على عدم فقه لمضامين هذا الخطاب، أو عدم تحمس للاستجابة لمقتضيات تلك المضامين، وكل ذلك مما يُسهّل على الآخرين الطعن في الإسلام بوصفه ديناً حضارياً، والنيل من المسلمين بوصفهم أمة حضارية قائدة ماضياً، ومؤهلة للريادة والقيادة مستقبلاً.

ومع اعتبار الاهتمام بالبيئة مظهراً من مظاهر الحضارة، ومعياراً للرقي والتقدم، فإنّ واقعنا في التعاطي مع البيئة ومكوناتها يمثل إشكالاً يستحق البحث والدراسة؛ لتأكيد كمال المنهاج الإسلامي أولاً، ولتذكير أنفسنا ببعض ما نملك من نفائس الموجهات في هذا المجال ثانياً. ولعل ذلك يدفعنا إلى تغيير سلوكنا تجاه البيئة بما يقنع أولئك الآخرين ويُعرِّفهم بالجوهر الحقيقي للإسلام والمسلمين.

مشكلة البحث:

إن ناتج تفاعل الأفراد مع البيئة ومكوناتها في كثير من المجتمعات المسلمة، هو سلوك مسيئ لتلك المكونات، وهو سلوك ينم عن ضعف في الوعي البيئي ناتج على الأرجح عن القصور التربوي في هذا المجال، –أعني مجال البيئة– وعن قصور في فهم المنهاج التربوي الإسلامي الشامل، المُضَمَّن في الكتاب والسنة بشمولهما وصلاحهما لكل زمان ومكان، هذا السلوك جسّد واقعاً يحكي عن جانب من جوانب التخلف التي تتطلب القيام

بمبادرات علمية تسهم في إيجاد حلول لها. وهذا البحث محاولة للإسهام في ذلك

أهمية الموضوع:

تنبع أهمية موضوع هذه الورقة من كونه يتناول بالدراسة إشكالاً متعلقاً بواحد من المجالات التربوية المهمة، هو مجال التربية البيئية، الذي لم ينل بعد ما يستحق من عناية في مجتمعاتنا الإسلامية، وتحديداً فإنّ الورقة مهمة – بتقدير الباحث – لأنّها تسعى لنشر الأدبيات القرآنية المتعلقة بالتربية البيئية، التي تعتبر واحدة من أهم المجالات والتخصصات التربوية المعاصرة، في ظرف يجتهد فيه المجتهدون للإسهام في إبراز دور القرآن الكريم في بناء الحضارة الإنسانية.

أهداف البحث:

تهدف هذه الورقة إلى تحقيق التالي:

١/ استخلاص بعض المضامين التربوية من بعض آيات القرآن الكريم.

٢/ تاكيد أسبقية منهج التربية الإسلامية في الاهتمام بالتربية البيئية.

٣/ نشر ثقافة التفاعل الإيجابي مع البيئة، ومكوناتها وسط المجتمع المسلم.

٤/ التذكير بكمال القرآن الكريم وشموله لكل أسباب الصلاح في الدارين.

منهج البحث:

لدراسة الدلالات واستنباط المضامين التربوية للإشارات البيئية في القرآن الكريم، ولوصف خطوات المنهج القرآني للتربية البيئية، فقد استخدم الباحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي، المصنف ضمن المنهج الوصفي التحليلي.

حدود البحث:

تحاول هذه الورقة استنباط أربعة من المضامين التربوية في مجال التعامل مع البيئة، اعتماداً على بعض آيات القرآن الكريم، وما ورد بشأنها في بعض كتب التفاسير.

هيكل البحث:

تناولت الورقة هذا الموضوع في أربعة عناوين تلت المقدمة المنهجية، هي: مفهوم البيئة والتربية البيئية، ملامح منهج القرآن في التربية البيئية، مضامين التربية البيئية في القرآن الكريم، أهم النتائج والتوصيات والمقترحات.

مصطلحات البحث:

- **مضامين:**

يُقصد بكلمة مضامين في هذه الورقة، القيم والتوجيهات والإرشادات التي يتضمنها القرآن الكريم بشأن البيئة والتفاعل معها.

- **التربية البيئية:**

التربية البيئية هي"عملية إعداد الإنسان للتفاعل الناجح مع بيئته الطبيعية بما تشمله من موارد مختلفة". هذا التعريف الاصطلاحي للتربية البيئية هو المختار والمعمول به في هذه الورقة. (صبري الدمرداش. التربية البيئية – النموذج والتحقيق والتقويم، ط٢، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٩٤م، ص٦٢).

مفهوم البيئة والتربية البيئية

أوّلاً: مفهوم البيئة

المعنى اللغوي للبيئة:

البيئة في اللغة العربية مشتقّة من الفعل: باءَ وبوأ يبوء، ففي لسان العرب: أَباءَه منزلاً، وبوّأه إيّاه، وبوّأ له وبوّأ فيه، بمعنى هيّأه له وأنزله ومكَّنَ له فيه. والبيئة والباءة والمَباءة: المنزل. وقيل منزل القوم حيث يتبوأون مِن قِبَل وادٍ أو سند جبل. وقيل المَباءة منزل القوم في كل موضع[i]. وفي القاموس المحيط: المباءة: المنزل، كالبيئة والباءة. والبيئة: الحالة[ii]. وفي المحيط: البيئة المنزل[iii].

المعنى الاصطلاحي للبيئة:

من التعريفات الاصطلاحية لمصطلح (البيئة) أنّها: "ذلك الإطار الذي يحيا فيه الإنسان، ويحصل منه على مقوّمات حياته، ويمارس فيه علاقته مع بني البشر"[iv]. وقد ورد أنّ البيئة بمفهومها العام هي: "الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان مؤثراً ومتأثراً، وهذا الوسط قد يتسع ليشمل منطقة كبيرة جداً، وقد يضيق ليتكون من منطقة صغيرة جداً، قد لا تتعدى رقعة البيت الذي يسكن فيه"[v]. كما عرفها بعضهم بأنها: "الحيز الذي يعيش فيه الإنسان مع غيره من الكائنات الحية الأخرى والمواد غير الحية، ويحصل منه على مقومات حياته، ويمارس فيه نشاطاته"[vi].

ممَّ يتكوّن ذلك الإطار، أو الوسط، أو المجال الذي يحيا أو يعيش فيه الإنسان؟. أشار بعض المختصين إلى مكونات البيئة مقسّماً إياها إلى مكونات حية وأُخرى غير حية، ثم حصر مكونات البيئة الحيّة في: النباتات الخضراء، والحيوانات آكلة الأعشاب، والحيوانات آكلة اللحوم، والكائنات الحية المترممة (مثل الفطريات) ، والكائنات المحلِّلة والكانسات (وهي مجموعة من الحيوانات التي تعتمد في غذائها على ما تبقى من غذاء الحيوانات آكلة اللحوم). ومكونات البيئة غير الحيّة في: الهواء الجوّي (الذي يحتوي على مجموعة من الغازات) والماء والتربة والطاقة[vii].

إن المكونات المذكورة تمثل ما يُعرف بالبيئة الطبيعية وهي " الحضن الواسع الذي يضم في داخله مختلف البيئات"[viii]، أي المكونات. هذا ولربما جاز للمرء أن يضيف إلى ما ذُكر من مكونات بيئية، المصنوعات الحديثة التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من أية بيئة أو تجمع سكاني مهما كان حضرياً أو بدوياً، مع وجود تفاوت في الكثافة الكمية والعددية التي توجد بها تلك المصنوعات من بيئة لأخرى؛ وهنا يشير الباحث إلى وسائل النقل الحديثة المختلفة من سيارات، وقطارات، ودراجات نارية، وسفن، وطائرات، كما يشير إلى المصانع التي تنتج هذه الوسائل النافعة وغيرها من الأشياء التي ينتفع بها الإنسان المعاصر. كل ذلك يمثل مكوناً بيئياً بشرياً لا

يستقيم البتة إغفاله عند الحديث عن مكونات البيئة، وذلك لكثافة وجود هذا المكون ولشدة تأثيره الإيجابي والسلبي، في المحيط الذي يوجد فيه.

ولقد أشار الحريري إلى ما يؤيد هذا حيث قسّم البيئة إلى جانبين هما:

١. البيئة البشرية أو الحضرية، مثل: المساكن، والمدارس، والطـــرق، والسدود ... ، وغيرها.
٢. البيئة الطبيعية، وهي كل ما يحيط بالإنسان من عناصر حية، مثل: (النبـــات، والحيوان، والكائنات الأولية..)، وغير حيـــة (كالمـــاء، والهـــواء، والتربـــة، والطاقة)[ix].

فما ورد منسوباً إلى البيئة البشرية أو الحضرية على حد تعبير الحريري، يمكن أن يُضاف إلى ما يُعرف بالمصنوعات الحديثة.

وممّا يجدر أن يُضاف إلى مكونات البيئة ويعتبر إضافة حقيقية تسهم في توسيع مفهوم البيئة، وتلفت الانتباه للتفكير في بُعدٍ جديدٍ لهذا المفهوم – برأي الباحث – الكائنات الغيبية من حولنا، وتحديداً عالم الملائكة والجن، فنحن لا ننفكُّ نُعايش هذين العالمين الغيبيين، بل نتعامل معهما – بوصفنا مسلمين – تعاملاً ما وفقاً للشرع الحنيف الذي بيّن لنا حدود التعامل معهما وكيفية ذلك التعامل. وهذا ما ذهب إليه من قبل الدكتور خالد سر الختم السيد وهو يتكلم عن المخلوقات الغيبية التي تعتبر جزءاً لا يتجزأ من البيئة، وعبر عنه

صراحة إذ قال: "فالبيئة المحيطة بالإنسان ليست محصورة في المجتمع الإنساني الذي يعيش فيه، ولا فيما يحيطه من بيئة طبيعية، ومواد خام، وأشياء زمانية ومكانية، بل البيئة أشمل من ذلك، فهي تشمل ضمن ذلك الملائكة، والجن، وإبليس، وجميع المخلوقات الأخرى حول الإنسان"[x].

ثانياً: مفهوم التربية البيئية:

تشير أغلب المراجع التي أُلِّفت خصّيصاً لمعالجة موضوعات التربية البيئية إلى أنّ مفهوم التربية البيئية بوصفه مفهوماً يمثل مجالاً تربوياً جديداً لم يتبلور بوضوح إلاَّ في سبعينات القرن العشرين، وتحديداً بعد عام ١٩٧٢م، العام الذي انعقد فيه مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية في مدينة (ستوكهولم) بالسويد، وكذلك فإنّ الاهتمام الجِدّي بهذا المجال التربوي الجديد لم يكن بادياً من قبل بالصورة التي بدأ بها بعد مؤتمر (ستوكهولم)، فما الذي يعنيه مصطلح التربية البيئية في اصطلاح التربويين؟

أورد الدكتور إبراهيم عصمت مطاوع تعريفاً مفاده أنّ: "التربية البيئية هي ذلك النمط من التربية الذي يهدف إلى تكوين جيل واع ومهتم بالبيئة، وبالمشكلات المرتبطة بها، ولديه من المعارف والقدرات العقلية والشعور بالالتزام ما يتيح له أن يمارس فردياً وجماعياً حل المشكلات القائمة، وأن يحول بينها وبين العودة إلى الظهور"[xi].

هناك تعريف آخر ينص على أنّ "التربية البيئية هي تلك العملية التي يتم من خلالها اكتساب الفرد للقيم، والاتجاهات، والمهارات، والحقائق، والمفاهيم اللازمة لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان بالبيئة، وتسهم في قيام الأفراد والمجتمع بالمحافظة على الموارد واستغلالها الاستغلال الرشيد لصالح الإنسان، وحفاظاً على حياته، ورفع مستوى معيشته"[xii].

وتعريف ثالث يفيد أن التربية البيئية هي: "عملية تكوين القيم والاتجاهات والمهارات، وتوضيح العلاقة بين طفلك والبيئة المحيطة به، لتنشأ علاقة صداقة ومودة بين طفلك ومحيطه البيئي، فيكبر على يقين بأهمية المحافظة على المصادر وضرورة استغلالها المفيد المعتدل لصالحه وصالح أفراد مجتمعه، فيتجنب عند كبره إيذاء البيئة أو حتى المساعدة في تلوثها"[xiii].

خلاصة القول إنّ التربية البيئية تعني: ما يبذله التربويون من جهد لتغيير سلوك الأفراد؛ ليصبح سلوكاً سويّاً عند التعامل مع مكونات البيئة.

الفرق بين التربية البيئية والدراسات البيئية:

إذا ثبت – حسب الواقع، وحسب ما أشار بعض المختصين – أن الدراسات البيئية هي تلك المقتصرة على معلومات وحقائق بيئية تخصصية مختلفة، دون توجيه الاهتمام لتعديل أنماط السلوك[xiv]؛ فإن ذلك يعني وجود فرق جوهري بين التربية البيئية ومجرد التزويد بدراسات بيئية. ذلك أن

التربية البيئية – بعكس الدراسات البيئية – "تهدف إلى معايشة التلاميذ للمشكلات البيئية والتدريب على المشاركة وتنمية الوعي البيئي...، مع إكساب التلاميذ القيم والاتجاهات الإيجابية نحو حماية البيئة وتحسينها"[xv].

ولقد عبّر الدمرداش موضحاً الفرق بين التربية البيئية، والدراسات البيئية قائلاً: "ولعل الفرق الجوهري بين دراسة البيئة والتربية البيئية كالفرق بين دراسة العلوم والتربية العلمية؛ فقد لا تؤدي دراسة العلوم إلى تربية علمية ... ، وبالمثل لكي تؤدي دراسة البيئة إلى تربية بيئية حقيقية فإنها ينبغي أن تكون وسيلة تساعد التلاميذ على اكتساب مقومات السلوك الراشد إزاء البيئة التي يعيشون فيها"[xvi]. ولا يسع المرء إلاّ أن يؤيد هذا الاتجاه، فمعلوم أن ناتج التربية يتمثل في إكساب سلوك معرفي ووجداني ومهاري يُشاهَد واقعاً، بينما لا ينتج عن عملية التزويد بالمعلومات مهما اتسمت بالغزارة، سلوكٌ سِوَى الإلمام – مجرد الإلمام – بتلك المعلومات.

ملامح منهج الإسلام في التربية البيئية

سبقت الإشارة إلى أنّ الإسلام منهاج للحياة، وأنّ القرآن الكريم هو المصدر الأساس للتشريع في هذا المنهاج، وقد اشتمل ضمن ما اشتمل عليه على إشارات وتوجيهات وتشريعات بشأن البيئة والتعامل مع مكوِّناتها، وتطرّق ضمناً إلى مجال تربوي حيوي لم يتنبه إليه التربويون إلاّ حديثاً، ألا

وهو مجال التربية البيئية. ولمّا كانت هذه الورقة معنية وفقاً لعنوانها بما ورد في القرآن مما يتعلق بهذا المجال، فسيجتهد الباحث في الالتزام بذلك في معالجة الموضوع المطروح، صارفاً نظره عن كثير مما تضمنه المصدر الثاني للتشريع– السُّنّة النبوية المطهرة – على غزارته وأهميته، ما لم تكن هناك ضرورة قصوى للاستشهاد والاستدلال بشيءٍ مما ورد في هذا المصدر.

إنّ أهم ما يمكن اعتباره ملامح لمنهج الإسلام، أو بالأحرى منهج القرآن في التربية البيئية، يتمثل في النقاط التالية ذكرها:

١/ لفت الأنظار إلى المكونات البيئية:

إنّ القرآن ذاخر بما يلفت أنظار من يتلون آياته، إلى أصناف متعددة من مخلوقات الله الحية والجامدة، والتي تمثل في حقيقة الأمر جزءاً من البيئة الطبيعية التي يحيون في إطارها، ولقد اشتمل القرآن على هذه الصورة من صور الخطاب – لفت الأنظار – باعتبارها مقصداً من المقاصد الربانية المراد بسطها بين العباد، يدلُّ على ذلك، الذكر المتكرر – والكثيف أحياناً – لتلك المكونات، والوارد في سياقات متعددة، مختلفة مبثوثة في كثير من آيات القرآن الكريم. يأتي في مقدمة تلك المكونات (الماء)، الموصوف بأنه أصل الحياة في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الآنبياء/ ٣٠). وفي قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ

،وفي قوله عزَّ من قائل: ﴿]ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الأنعام/٩٩ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن [النور/٤٥])، وقد يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٥ ﴾ ورد ذكر الماء في آيات أُخر كثيرة، منها قول الله تعالى ذِكْره: ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ،]النحل/٦٥ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٥ ﴾ وفي آية أخرى يذكر مع الماء النبات فيقول: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ، وفي ثالثة يخص بالذكر الشجر بعد]فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الأنعام/٩٩ ذكر الماء فيقول: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ ، ثم يفصّل في أنواع النبات فيقول: ﴿ يُنۢبِتُ]النحل/١٠[فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ ﴾ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ، ثم ينتقل إلى ذكر أصناف]النحل/١١[لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ ﴾ أخرى من المكونات البيئية كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا ، وفي]فاطر/٢٨،٢٧[يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨ ﴾ قوله عزَّ من قائل: (والله خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ من ماء، ...) الآية (٤٥) من سورة النور المذكورة قبل قليل.

إنّ ما ورد مُفصَّلاً في الآيات المذكورة آنفاً، يمثل مجرَّد عينات محدودة جداً من مخلوقات الله، التي تشكّل جانباً من البيئة المحيطة بنا، ويندرج في ما ورد مجملاً كل ما علمنا وما لم نعلم من المخلوقات وهي كثيرة ، فإذا علمنا أنّ الآيات المذكورة نفسها لا تمثل إلاّ نسبة صغيرة من مجموع الآيات القرآنية المنوّهة إلى البيئة ومكوناتها، تأكّد لنا أنّ لفت الأنظار إلى تلك المكونات يمثل عنصراً أصيلاً في منهج القرآن للتربية البيئية.

٢/ الإشارة إلى الانسجام السلوكي للمكونات البيئية:

يشير القرآن الكريم إلى وجود انسجام في السلوك التعبدي بالنسبة لمكونات البيئة – المشاهدة منها والغيبية – منشأُه الاستعداد الفطري لتلك المكونات للائتمار بأمر الله على غرار ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ **[فصلت/١١]** ، وقوله جل وعلا: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ ، فالإنسان ليس **]الروم/٢٥ [**إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ وحده المخلوق العابد لله الخاضع له، بل الحيوان، والنبات، والجماد، والكائنات الغيبية ما علمنا منها وما لم نعلم، كل أولئك يعبدون الله ويسبحونه بكيفيات يعلمها الله، وإن كنا نحن البشر لا نفقه عن عبادتها وتسبيحها شيئاً، ولا شك أن هذا يشكِّل رابطاً وجدانياً بين الإنسان وتلك المخلوقات، وهو رابط جدير

بالتدبر والتفكر فيه، فالقرآن إذ يشير إلى ذلك الانسجام إنّما يُرشد إلى أخذه في الاعتبار عند التعاطي والتفاعل مع تلك المخلوقات أي المكونات البيئية.

والآيات الدالة على تسبيح الكائنات للخالق جل جلاله – كلٌّ على طريقته – كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء/٧٩]، وقوله جل شأنه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/١٨]، وقوله عز من قائل: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/٤٤]، وغيرها من الآيات الكريمات.

٣/ تأكيد تسخير المكونات البيئية لصالح الإنسان:

إنّ الله الذي خلق الإنسان ضمن ما خلق من الموجودات، اقتضت حكمته أن يكرِّم هذا الإنسان ويفضله على سائر المخلوقات، فقد قال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/٧٠] ، ومن وجوه ذلك التكريم والتفضيل تسخير مكونات البيئة لخدمة الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [إبراهيم/٣٢، ٣٣]، وقوله عز من قائل: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [النحل/٥، ٦،٧،٨]، وقوله جل شأنه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ [النحل/١٤] . مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

ولقد سخر الله الكون؛ للإنسان ليتمتع في هذه الحياة الدنيا برشد واقتصاد، لا ليُسرف فيها ويقضي على الأخضر واليابس ويستنزف كل الموارد، فإنَّ ذلك يُعدُّ من الفساد.

٤/ أخلاق التعامل مع البيئة:

من الفروق الجوهرية بين المؤمنين بالله وبين غير المؤمنين، في ما يتعلق باكتساب المعارف والعلوم النظرية والتطبيقية، والقوانين التي بموجبها سخَّر الله الكون أو بعض مكوناته لبني البشر، أنّ دَأبَ المؤمنين أنْ يرُدّوا كلَّ فضل عِلميٍّ ومعرفيٍّ نالوه، إلى الله خالِقِهم ومدبّر شؤونهم؛ خلافاً لكثير من

غير المؤمنين الذين يغترّون بما يتوصّلون إليه من علوم ومعارف، متوهّمين أنَّ ذلك إنّما يحدث بفضل رجاحة عقولهم ومضاء ذكائهم.

ذلك أنّ المؤمنين قدوتُهم هو ذاك الذي (عنده علم من الكتاب)، المـــذكور في قصة النبي سليمان عليه السلام مع الملكة (بلقيس)، في قول الله جلّ شـــأنه: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ٤٠ ﴾ النمل: ٤٠ . بينما ارتضى الآخرون أن يقتـــدوا بـــالمغرور (عفريت)، المذكور في قوله تعالى في السورة ذاتها: ﴿ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩ ﴾ النمل: ٣٩.

ولذلك عندما طُلِب من ذي القرنين بِناءُ السَّد أجاب في تواضع جم، إذ ورد على لسانه: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥ ﴾ الكهف: ٩٥.

وبعد فهذا مُنطَلَقٌ لبعض كلام تأصيلي عن أخلاق التعامل مع البيئة ومكوناتها، يرجو الباحث أن يكون متمّماً لبعض جوانب النقص التي تعتري الورقة، كما تفضل من نثق في علمه وخبرته ممن اطّلع عليها.

يشير بعض المختصين إلى: "أن عدم المبالاة بشأن الطبيعة يقوم على مفهوم أخلاقي خاطئ للعلاقات السائدة بين الإنسان والطبيعة، إذ أنّ دور الإنسان في الواقع الطبيعي قد تحول منتقلاً من حالة الاندماج الكلي بالطبيعة إلى حالة من السيطرة المطلقة عليها"[xvii]. هذا ومن أخطر المزاعم العصرية المدمرة للبيئة ما أطلق عليه بعضهم: أسطورة سيطرة الإنسان على الطبيعة. هذه الأسطورة الموحية بقدرة الإنسان على إخضاع البيئة وعلى حل جميع المشكلات؛ ذلك أنها السبب في الوضع البيئي الخطير القائم الآن.

ومما يعكس تلك العلاقة التشاكسية عبارات السب واللعن للظواهر الطبيعية غير المرغوب فيها لدى الإنسان، مثل الأعاصير والفيضانات وما شاكلهما؛ والتي اعتاد الناس سماعها هذه الأيام، فتلقفتها ألسنة كثير من المسلمين الذين باتوا يرددونها مع من سواهم، متغافلين عن تعاليم شرعهم الحنيف.

فالشرع الإسلامي يوجه بإقامة علاقة ذات طابع سلمي وودي مع المحيط البيئي ومع الظواهر الطبيعية مهما كانت قاسية. فعندما يصيب الناس القحط أو يكثر المطر ويُخشى وقوع الضرر، يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم ربه في أدب جم ليفرج عن الناس ما هم فيه من الهم. فعن أنس بن مالك قال : أصابتِ الناسَ سَنَةٌ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فبينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم جمعة قام أعرابي فقال: يا رسول هلك المال وجاع

العيال فادْعُ الله لنا. فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة، فو الذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته صلى الله عليه و سلم فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى. وقام ذلك الأعرابي أو قال غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا . فرفع يديه فقال (اللهم حوالينا ولا علينا). فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهراً ولم يجيء أحد من ناحية إلا حَدَّث بالجود"[xviii]. وفي رواية: "(اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالْجِبَالِ وَالآجَامِ وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ). قَالَ فَانْقَطَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِى فِى الشَّمْسِ"[xix].

وفي هذا إشارة إلى القبول الحسن لأمر الله أولاً، ودليل على الاستعداد لتطبيع العلاقة ــ إن صحَّ التعبير ــ مع المكونات البيئية والظواهر الطبيعية ثانياً.

والشرع الإسلامي ينهى ــ من جانب آخر ــ عن التعبير عن السخط عند وقوع المصائب والنوازل ذوات الصلة بالظواهر الطبيعية، وعن التفوُّه بعبارات اللعن والسب لتلك الظواهر؛ ففي الحديث القدسي: عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: قال الله عز و

جل: يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما"[xx]. وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تسبوا الدهر فإنَّ الله هو الدهر"[xxi].

مضامين التربية البيئية في القرآن الكريم

هنا محاولة لاستنباط بعض المضامين التربوية ذات الصلة بالبيئة، يحاول الباحث استنباطها من مجموع ما ذُكر من الشواهد القرآنية في هذه الورقة البحثية، وهي محاولة لا تعدو كونها تمثل رغبة في طرح فكرة للتأسيس عليها في البحث بصورة أوسع في هذا المجال، حال التأكد من رُشدها وصلاحيتها، إذَن فدونكم المضامين المستنبطة مفصلة في النقاط التالية:

المضمون الأول: ترسيخ مبدأ التعايش السلمي بين المخلوقات :

لقد اشتملت السيرة النبوية على شواهد تدل على أن كثيراً من المخلوقات تسلك سلوكاً شبيهاً جداً بسلوك الإنسان، إن لم يكن مطابقاً له، مثل: حنين الجذع- جذع النخلة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وإلى خُطَبِه ومواعظه في المنبر- وشكوى الغزالة له، وبكاء الناقة، وتسبيح الحصى في كفّه الشريفة (صلى الله عليه وسلم) ، ولئن كان ذلك قد حدث بقصد تأييد حقيقة النبوة، وضُمِّن في كتب السيرة في سياق ذكر المعجزات الخاصة بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، فإنه مع ذلك ينسجم تمام الانسجام مع ما ورد في قول الله تعالى:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ ﴾ (سورة الأنعام/ ٣٨)، ولا شك أنّ ذلك مما يقوّي الإحساس بوجود رابط وجداني بين الإنسان وبين تلك المخلوقات؛ يصلح لأن يكون أساساً متيناً ودافعاً قوياً لذلك التعايش السلمي والتعامل الحسن الذي يمكن أن يُعبَّر عنه بالبر، أو الرفق بتلك المكونات. وفي القرآن شواهد مماثلة تشير إلى الدعوة لالتزام هذا المبدأ العظيم، مبدأ التعايش السلمي.

وفي قصة النملة مع سليمان النبي علية السلام ما يشير إلى أنّ الأسوياء من بني البشر تحملهم فطرتهم السليمة لالتزام هذا المبدأ، فلا يحيدون عنه إلى علاقة تشاكسية عدوانية بينهم وبين مكونات بيئاتهم. ذلك في قول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾ [النمل/١٨] ، ففي قول النملة:(**وهُمْ لا يَشْعُرُون**) ما يفيد أنّ سليمان عليه السلام ومعه الجنود لن يُقدِموا على تحطيم النمل عمداً وعنوةً، حاشاهم أن يرتكبوا مثل هذا الصنيع الشنيع، إنّ فطرتهم وأخلاقهم تعصمهم عن ذلك.

جاء في الظلال في سياق تفسير هذه الآية الكريمة: قالت للنمل: (ادخلوا مساكنكم كي لا يحطمنكم سليمان وجنوده، وهم لا يشعرون بكم، فأدرك سليمان ما قالت النملة وهش له وانشرح صدره بإدراك ما قالت ، وبمضمون ما قالت ، هش لما قالت كما يهش الكبير للصغير الذي يحاول النجاة من أذاه

وهو لا يضمر أذاه)[xxii]. وأورد الطبري ما يؤكد أن من خُلق أصحاب الفطـــرة السوية ألاّ يتعمّدوا أذية الآخرين، إذ قال في تفسير هذه الآيـــة: (لا يكـــسرنكم ويقتلنكم سليمان وجنوده **(وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ)** يقـــول: وهـــم لا يعلمـــون أنهـــم يحطمونكم[xxiii]).

المضمون الثاني: المحافظة على المكونات البيئية:

إن الله سبحانه وتعالى جعل الإنسان خليفة في الأرض؛ ليعمرها لا ليفسد هود/ **[**فيهـــــا فيدمرها. قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ ، واستعمار الأرض المشار إليه في الآية الكريمة يشمل الكرة الأرضية **]**٦١ بالإضافـــة إلى كل ما يحيط بها، وكل ما يمت إليها بصلة.

والقرآن ذاخر بالإشارات الدالة على أن إفساد الأرض يعتبر سلوكاً غير سويٍّ ومخالفاً لمراد الله، ولمقصد الاستخلاف في الأرض، فمما يشـــير إلى ذلك قـــول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ (البقرة/٣٠) ، وقوله جل شأنه: ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ (الكهف/٩٤) ، وقد "اختلف أهل التأويل في معنى الإفساد الذي وصف سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ الله به هاتين الأمتين، فقال بعضهم: كانوا يأكلون الناس، وقال آخرون: بل معنى

ذلك: أن يأجوج ومأجوج سيفسدون في الأرض، لا أنهم كانوا يومئذ يفسدون"[xxiv]، وقوله عز من قائل: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم (الروم/٤١) ، جاء في تفسيرها: حدثنا أبو بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ كُرَيب قال: ثنا عثام، قال: ثنا النضر بن عربي، عن مجاهد ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة: ، قال: إذا ولي سعى بالتعدّي والظلم، فيحبس الله القطر، فَـ (يُهْلِكَ الحَرْثَ ٢٠٥] والنَّسْلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسادَ) ، قال: ثم قرأ مجاهد:(ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ ...) الآية، قال: ثم قال: أما والله ما هو بحركم هذا، ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر[xxv]، فالفساد والإفساد إمّا أن يكونا مباشرين، كإزهاق النفوس واستنزاف الموارد بغير رُشد، وما شاكلهما من الأفعال المدمرة للحياة، أو بطريقة غير مباشرة بارتكاب المعاصي واقتراف الذنوب التي تؤدي إلى القحط والجدب.

وإذا كان إفساد الأرض وتدميرها ينافي مراد الله ومقصد الاستخلاف، فإن إصلاح الأرض والمحافظة على سلامتها هو السلوك السوي الذي ينسجم مع مطلوبات ذلك الاستخلاف. وفي السنة النبوية المطهرة – وهي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن، وهي المفصّلة لكثير مما أجمله القرآن – ما يغري على الاهتمام بالتعمير، من مثل قول النبي (صلى الله عليه وسلم) عن أنس رضي الله عنه: "ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة إلا كان له به صدقة"[xxvi]، وفي مسلم:" مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلاَّ كَانَ مَا

أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةً، وَلاَ يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ"[xxvii]. ثم تأمل في قول النبي (صلى الله عليه وسلم) عن أنس بن مالك: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها، فليغرسها"[xxviii].

ومما يحفز على الاهتمام بمكونات البيئة والمحافظة عليها، الوعد بالأجر العظيم والثواب الجزيل – عند الله تعالى – لأولئك المهتمين المحافظين على تلك المكونات، "عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قال: بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً ؟ قال: (في كل كبد رطبة أجر)"[xxix].

وفي السنة كذلك ما يحذِّر من الاعتداء على البيئة ومكوناتها، مثل قوله (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِى النَّارِ". (سُئِلَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ هَذَا الْحَدِيثُ مُخْتَصَرٌ يَعْنِى مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً فِى فَلاَةٍ يَسْتَظِلُّ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ وَالْبَهَائِمُ عَبَثًا وَظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا، صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِى النَّارِ)"[xxx]. وقوله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فيما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: "عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِى هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا ، حَتَّى مَاتَتْ

جُوعًا ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ – قَالَ فَقَالَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ – لاَ أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلاَ سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِهَا ، وَلاَ أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ"[xxxi].

وبعد فهذه من مواضع الضرورة القصوى للاستشهاد والاستدلال بسنة النبي (صلى الله عليه وسلم)، التي أشار الباحث – عند بداية حديثه عن ملامح منهج الإسلام في التربية البيئية – إلى أنّه ربما لجأ إليها، لتعضيد ما يذهب إليه، ولمزيد من التوضيح لفكرته.

المضمون الثالث: النهي عن تلويث البيئة:

إنّ منهج الإسلام في التربية منهج يؤسِّس لإيجاد وسط بيئي صحي ونظيف، خالٍ عن المؤذيات المادية منها والمعنوية، فالطهارة أصل في الإيمان وشرط في صحة أهم أنواع العبادات في دين الإسلام، وقد حثَّ القرآن الكريم المؤمنين على الاهتمام بها وعدم التفريط فيها، وهي نوعان: مادية تُعنى بتنظيف الأجساد والثياب والأمكنة، ومعنوية تُعنى بتنظيف السرائر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ ، وقال جل جلاله: ﴿] المدثر/٤[[المائدة/٦]، وقال جلَّ شأنه: ﴿كۡ وُ وُ﴾ ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِۖ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ

حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ **[البقرة/٢٢٢].**

والقول الطيب – المحبّب إلى النفوس بالفطرة – ممدوح في القرآن، بينما الخبيث المُنفِّر مذموم فيه، قال جل شأنه: (لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بالسُّوءِ مِن الْقَوْلِ إلاَّ مَنْ ظُلِم)، ففي النجاسات أذىً مادي، وفي خبيث القول أذىً معنوي، وكل ذلك مما ينزه عنه المنهج التربوي القرآني، إنّه منهج يربِّي على السلوك الراقي والذوق الرفيع، وهو يدعو في هذا الإطار إلى رعاية حق الكائنات جميعها ــ المشاهدة منها والغيبية ــ في الاستمتاع ببيئة صحية طيبة نظيفة وجميلة، وفي قول الله تعالى: ﴿ڄ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ﴾ **[الواقعة: ٢٥-٢٦]**، تصوير للبيئة المعنوية المثالية الخالية عن الفحش والبذاءة وعن كل ما يؤذي النفوس. ولئن كان ذلك تصوير لحال أهل الجنة، فإنّه لا يخلو عن إشارات إلى النهي عن تلويث البيئة بما يؤذي النفوس في هذه الحياة الدنيا.

لقد لخّص الدكتور ماجد عرسان الكيلاني ما يتعلق بالخطاب البيئي في الكتاب والسنة تحت عنوان: (تزكية البيئة الطبيعية)، في عبارات جديرة بإيرادها في هذا المــقام، حيث أشار إلى أن تزكية البيئة الطبيعية تقوم على مبدأين اثنين هما: التعمير والنظافة. ثم فصّل القول مبيناً أن التعمير يقوم على تدريب الإنسان على تعميــر الأرض وتزيينها بمظاهر الانجازات الحضارية المختلفة. وأنَّ مبدأ النظافة يتكامل مــع مبدأ التعمير لتشكيل البيئــة الطبيعية

المزكّاة الراقية، مشيراً إلى أن أهمية هذه النظافة تتصاعد حتى تصبح جزءاً من الإيمان[xxxii].

المضمون الرابع: الاستمتاع بجمال البيئة والطبيعة:

إنّ منهج الإسلام في التربية، واتساقاً مع شموليته الفذّة يكفل للعباد حق الاستمتاع ببيئة صحية طيبةنظيفة وجميلة، إنه منهج يربي على التفكر في صنع الله المتقن البديع، ويعمل على لفت الأنظار إلى ذلك الصنع، والإحساس بجمال ذلك الصنع والاستمتاع به، والقرآن الكريم ذاخر بالنصوص الدالة على ذلك، فالله سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ﴾ (النمل/٦٠)، ويقول جلّ شأنه: ﴿ وَٱلْأَرْضَ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (ق/٧)، وقال جل من قائل: ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (ق/١٠)، وفي سورة يونس: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (يونس/٢٤)، وفي سورة النحل: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (النحل/٥، ٦)، وفي النحل كذلك: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ

(النحل/٨)، وفي البقرة: ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (البقرة/٦٩).

فالعبارات:(حدائق ذات بهجة، من كل زوج بهيج، والنخل باسقات، طلع نضيد، أخذت الأرض زخرفها وازينت، ولكم فيها جمال، لتركبوها وزينة، صفراء فاقع لونها تسر الناظرين)، الواردة في الآيات المذكورة آنفاً، عبارات دالة على إرشاد المؤمنين إلى النظر في مكونات البيئة الطبيعية، داعية إلى إمتاع البصر بجمالها، وغير ذلك مما لا يتسع المجال لذكره من آيات القرآن الكريم.

فقد ورد في معنى قوله تعالى: **(حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ)**، "والحديقة: البستان عليه حائط: من الإحداق وهو الإحاطة. وقيل (ذات)؛ لأنّ المعنى: جماعة حدائق ذات بهجة، كما يقال: النساء ذهبت والبهجة: الحسن، لأنّ الناظر يبتهج به"[xxxiii]، وكذا في قوله جل شأنه: **(مِن كُلِّ زَوْجٍ)**، من كل صنف **{بَهِيجٍ}** يبتهج به لحسنه[xxxiv]. وفي قوله:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا ﴾ **[يونس:٢٤]** أي: حَسُنت بما خرج من رُباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان[xxxv]. وفي قوله: ﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٞ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾ ﴾ **[النحل:٦]**: يمتن تعالى على عباده بما خلق لهم من الأنعام، وهي: الإبل، والبقر، والغنم، كما فصلها في سورة الأنعام إلى ثمانية أزواج، وبما جعل لهم فيها من المصالح والمنافع، من أصوافها وأوبارها

وأشعارها يلبسون ويفترشون، ومن ألبانها يشربون، ويأكلون من أولادها، وما لهم فيها من الجمال وهو الزينة[xxxvi]. وفي قوله جل جلاله: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٦٩]: "قال ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس: من لبس نعلا صفراء لم يزل في سرور ما دام لابسها"[xxxvii]، ولعلَّ هذا مما يؤكد أنّ الآية الكريمة تتضمن ما يمكن اعتباره إعجازاً في مجال علم النفس التربوي الذي تقرر بعض أدبياته المتعلقة بالوسائل التعليمية، أنّ مما يُبهِج التلاميذ ويُدخل السرور في نفوسهم، استخدام السبورة الصفراء ، خاصة إذا استُخْدِم اللون الأزرق للكتابة عليها.

المضمون الخامس: التوجيه بالتجمُّل وتهيئة بيئة جميلة:

إنَّ البيئة الطبيعية التي أوجدها الله وكفل لنا الاستمتاع بها ونحن جزءٌ منها، هي بيئة جميلة متناسقة؛ ذلك أنّ الله جميل يحب الجمال، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». قَالَ: رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»[xxxviii].

والله سبحانه وتعالى المتصف بالجمال، والذي هيأ لنا التمتع بكل جميل، تضمنت بعض آيات كتابه العظيم ما يشير إلى التوجيه بتجميل البيئة التي

نعيش في إطارها، وبتجميل أنفسنا قبل ذلك، يقول جل شأنه: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ [الأعراف/٣١] ، أشار ابن كثير إلى أنه استناداً على هذه الآية، وما ورد في معناها من السنة، يستحب التجمل عند الصلاة، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد، والطيب لأنه من الزينة، والسواك لأنه من تمام ذلك[xxxix]. وأشار صاحب الظلال إلى أنّ: الزينة « الإنسانية » هي زينة الستر ، بينما الزينة « الحيوانية » هي زينة العري[xl]، كما أورد في معرض تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ [الأعراف: ٢٦]، أنّه: "في مواجهة مشهد العري الذي أعقب الخطيئة، ومواجهة العري الذي كان يزاوله المشركون في الجاهلية، يذكر السياق في هذا النداء نعمة الله على البشر وقد علمهم ويسر لهم ، وشرع لهم كذلك ، اللباس الذي يستر العورات المكشوفة ، ثم يكون زينة – بهذا الستر – وجمالاً ، بدل قبح العري وشناعته ولذلك يقول: { أنزلنا } أي: شرعنا لكم في التنزيل . واللباس قد يطلق على ما يواري السوأة وهو اللباس الداخلي، والرياش قد يطلق على ما يستر الجسم كله ويتجمل به ، وهو ظاهر الثياب"[xli].

هذا ويمكن القول إنّ ما ورد في المضامين (الأول والثاني والثالث والرابع)، من عمل على ترسيخ مبدأ التعايش السلمي بين المخلوقات،

والإرشاد إلى المحافظة على المكونات البيئية، والنهي عن تلويث البيئة، وإباحة الاستمتاع بجمال البيئة والطبيعة، بالإضافة إلى الشاهدين (من الكتاب والسنة) المذكورين في ما حواه الكلام عن المضمون الخامس، كل ذلك يفيد بالضرورة التوجيه بالتجمُّل، وبالإسهام في تهيئة بيئة جميلة.

أهم النتائج والتوصيات والمقترحات

أوّلاً: أهم النتائج:

١/ إنّ منهج الإسلام في التربية متمثلاً في القــرآن الكريــم والسنة النبوية المطهرة، له سبْق في

الاهتمام بالبيئة وتزكيتها، يرفعه إلى مرتبة الصدارة من حيث الإســهام في بناء الحضــارة

الإنسانية على مر العصور.

٢/ إنّ الإسلام بوصفه منهاجاً شاملاً للحياة كلها، متكاملاً في شموله، يتضمن منهجاً للتربية البيئية

تبدو بعض ملامحه في كثير من آيات القرآن الكريم. وقد ورد في متن هذه الورقة ثلاثة مـــن

تلك الملامح هي:

(أ) لفت الأنظار إلى المكونات البيئية.

(ب) الإشارة إلى الانسجام السلوكي لمكونات البيئة (جميع المخلوقات).

(ج) تأكيد تسخير المكونات البيئية لصالح الإنسان.

٣/ إنّ المنهج التربوي الإسلامي يهدف إلى تحقيق تربية بيئية مثالية في المجتمـــع المسلم، مـــن

خلال ما تضمنه القرآن الكريم من توجيهات تخص هذا المجال التربوي، مثل:

- ✓ ترسيخ مبدأ التعايش السلمي بين المخلوقات.
- ✓ المحافظة على مكونات البيئة، والنهي عن تدميرها.
- ✓ النهي عن تلويث البيئة.
- ✓ الاستمتاع بجمال البيئة والطبيعة.

- ✓ التوجيه بالتجمُّل، والإسهام في تجميل البيئة.

ثانياً: التوصيات:

بناءً على ما توصلتْ إليه الورقة من نتائج فإنّ الباحث يوصي بالتالي:

(١) أن يُسهم المختصون والمهتمون كلٌّ – وفق ما تيسر له – في نشر ما يتضمنه القرآن الكريم من توجيهات بشأن التعامل مع البيئة ومكوناتها.

(٢) أن يعمل علماء التربية من المسلمين على تبيين كمال منهج الإسلام في التربية وأفضليته

على المناهج التربوية الوضعية.

(٣) أن يتولّى علماء المناهج التربوية المسلمون مهمّة تصميم مناهج دراسية في التربية البيئية

للتلاميذ في مراحل التعليم العام.

(٤) أن تُمكَّن المؤسسات التربوية من القيام بمسؤولياتها تجاه تربية الناشئة تربية بيئية صحيحة تُفضي إلى سلوك سوي تجاه البيئة ومكوناتها.

(٥) أن يُستفاد من تجارب الدول صاحبة السبق في مجال التفاعل السوي مع مكونات البيئة؛ لابتكار برامج علمية وعملية فاعلة في هذا المجال.

ثانياً: المقترحات:

١) إجراء بحوث قرآنية شبيهة لاستخلاص مزيد من المضامين التربوية في مجال التربية البيئية.

٢) إجراء بحوث مقارنة للتعرف على تجارب الدول المختلفة في مجال الاهتمام بالتربية البيئية.

٣) إجراء دراسات تطبيقية على الأطفال في مرحلة التعليم قبل المدرسي، بهدف غرس القيم التربوية البيئية في نفوسهم.

Online Publishing Committee لجنة التغطية الالكترونية

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

قائمة المصادر والمراجع

أوّلاً: المصادر:

(أ) القرآن الكريم.

(ب) كتب السُّنة:

١/ سليمان بن الأشعث بن شداد. سنن أبي داوود، المكتبة الإلكترونية الشاملة، الإصدارة الثانية.

٢/ مسلم بن الحجاج النيسابوري.صحيح مسلم،ج٥،المكتبة الشاملة،الإصدارة الثانية.

٣/ محمد بن إسماعيل البخاري. صحيح البخاري، ج٢، المكتبة الشاملة، الإصدارة الثانية.

٤/ محمد ناصر الدين الألباني.الأدب المفرد، ج١،المكتبة الشاملة، الإصدارة الثانية.

(ج) كتب التفسير:

١/ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. تفسير القرآن العظـــيم، ج٣، ج٤، ط٢، المكتبة الشاملة، الإصدارة الثانية.
٢/ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري.الكشّاف،ج٥،المكتبـــة الـــشاملة، الإصدارة الثانية.
٣/ سيد قطب. في ظلال القرآن، ج٥، المكتبة الشاملة، الإصدارة الثانية.
٤/ محمد بن جرير بن يزيد الطبري. جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٩، المكتبة الشاملة، الإصدارة الثانية.

(د) المعاجم اللغوية:

١/ جمال الدين بن مكرم بن منظور. لـــسان العـــرب، ط١، دار صـــادر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
٢/ الصاحب بن عباد. المحيط في اللغة، المكتبة الشاملة، الإصدارة الثانية.
٣/ الفيروز آبادي. القاموس المحيط، المكتبة الشاملة، الإصدارة الثانية.

ثانياً: المراجع:

١/ إبراهيم عصمت مطاوع. التربية البيئية ــ دراسة نظرية تطبيقية، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٩٨٦،).
٢/ خالد سرالختم السيد.[مفهوم البيئة بين عالم الغيب وعالم الشهادة] ، مجلة أبحاث الإيمان،ع١١، المركز العالمي لأبحـــاث الإيمـــان، مطبعـــة دار جامعة القرآن الكريم للطباعة والنشر، الخرطوم، السودان، ٢٠٠٠م).

٣/ راتب السعود. الإنسان والبيئة، بدون بيانات أُخرى.
٤/ شافع ذبيان الحريري.[المفهوم الإسلامي للبيئة في الكتاب والسنة]، مجلة أبحاث الإيمان، ع٩، المركز العالمي لأبحاث الإيمان، أُرو للطباعة و النشر، الخرطوم، السودان، أكتوبر١٩٩٨م.
٥/ صالح عبدالله جاسم وعبد الرؤوف شفيق قبلاوي. التربية البيئية، ١٩٩٥م، بدون بيانات أخرى.
٦/ صبري الدمرداش. التربية البيئية ــ النموذج والتحقيق والتقويم، ط٢، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٩٤م).
٧/ ماجد عرسان الكيلاني. مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، دارالقلم للنشر والتوزيع، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٥م.
٨/ وائل إبراهيم الفاعوري. التربية البيئية للطفل، ط١، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ٢٠٠٧.

الهوامش المرجعية:

[i] . محمد بن مكرم بن منظور. لسان العرب، مادة بوأ.

[ii] . الفيروز آبادي. القاموس المحيط، باب الهمزة/ فصل الياء.

[iii] . الصاحب بن عباد. المحيط في اللغة، حرف الباء/ باب اللفيف/ ما أوّله الباء.

[iv] . راتب السعود. الإنسان والبيئة، ص١٨.

[v] . المرجع نفسه. ص١٨.

[vi] . شافع ذبيان الحريري. [المفهوم الإسلامي للبيئة في ضوء الكتاب والسنة]، مجلة أبحاث الإيمان، ع٩، المركز العالمي لأبحاث الإيمان، أُرو للطباعة والنشر، الخرطوم، السودان، أكتوبر١٩٩٨م، ص١٠٢.

[vii] . صالح عبدالله جاسم وعبد الرؤوف شفيق قبلاوي. التربية البيئية، ١٩٩٥م، بدون بيانات أخرى، ص٣٨.

[viii] . ماجد عرسان الكيلاني. مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٥م، ص٢١٩.

[ix] . شافع ذبيان الحريري. مرجع سابق، ص١٠٢.

[x] . خالد سر الختم السيد. [مفهوم البيئة بين عالم الغيب وعالم الشهادة]، مجلة أبحاث الإيمان، ع١١، المركز العالمي لأبحاث الإيمان، مطبعة دار جامعة القرآن الكريم للطباعة والنشر، الخرطوم، السودان، ٢٠٠٠م، ص١٤٠.

[xi] . إبراهيم عصمت مطاوع. التربية البيئية ــ دراسة نظرية تطبيقية، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٩٨٦م، ص١٤.

[xii] . صالح عبدالله جاسم وعبد الرؤوف شفيق قبلاوي. مرجع سابق، ص١٠٠.

[xiii] . وائل إبراهيم الفاعوري. التربية البيئية للطفل، ط١، مركز الكتاب الأكاديمي، عمـــان، الأردن، ٢٠٠٧م، ص٣٧.

[xiv] . إبراهيم عصمت مطاوع. مرجع سابق، ص١٢.

[xv] . المرجع نفسه. ص١٣.

[xvi] . صبري الدمرداش. التربية البيئية ــ النموذج والتحقيق والتقويم، ط٢، مكتبـــة الفـــلاح للنشر والتوزيع، الكويت،١٩٩٤م، ص٧٠.

[xvii]. أنطونيو مورينو. ... ، ص٣١٩.

[xviii]. الإمام البخاري. الصحيح، ج١، ص٣١٥.

[xix]. المرجع نفسه. ح٤، ص١٩٧.

[xx]. الإمام مسلم. صحيح مسلم، ج٤، ص١٧٦٢.

[xxi]. المرجع نفسه. ص١٧٦٢.

[xxii] . سيد قطب. في ظلال القرآن، ج٥، المكتبة الإلكترونية الشاملة، الإصدارة الثانية، ص٣٧٨.

[xxiii] . محمد بن جرير الطبري. جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٩، المكتبة الشاملة، الإصدارة الثانية، ص٤٣٩.

[xxiv] . المرجع نفسه. ج١٨، ص١٠٤.

[xxv] . المرجع نفسه. ج٢٠، ص١٠٨.

[xxvi] . صحيح البخاري، ج٢، ص٨١٧.

[xxvii] . صحيح مسلم، ج٥، ص٢٧.

[xxviii] . صحيح الأدب المفرد، ج١، ص١٩٥.

[xxix] . صحيح الخاري، ج٢، ص٨٣٣.

[xxx] . سنن أبي داود، ج١٥، ص١٥٨.

[xxxi] . صحيح البخاري، ج٨، ص٤٦٢.

[xxxii] . ماجد عرسان الكيلاني. مرجع سابق، ص٢١٩،٢٢٠.

[xxxiii] . الزمخشري. الكشّاف، ج٥، المكتبة الإلكترونية الشاملة، الإصدارة الثانية، ص٩٣.

[xxxiv] . المرجع نفسه. ج٦، ص٣٩٠.

[xxxv] . تفسير ابن كثير، ج٤، المكتبة الإلكترونية الشاملة، الإصدارة الثانية، ص٢٦٠.

[xxxvi]. المرجع السابق. ج٤، ص٥٥٧.

[xxxvii] . المرجع نفسه. ج١، ص٢٩٩.

[xxxviii] . صحيح مسلم، ج١، ص٦٥.

[xxxix]. تفسير ابن كثير، ج٣، ص٤٠٦.

[xl] . سيد قطب. مرجع سابق، ج٣، ص٢١١.

[xli] . المرجع السابق. ص٢١١.